الفصل الثالث

النصارى بين التوحيد والتثليث

وجاء في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : حقيقة الوحدانية الإنجيلية

المبحث الثاني : كيف تحولت عقيدة النصارى من التوحيد إلى التثليث ؟

المبحث الثالث : موقف الفرق النصرانية من وحدانية الإله الواردة في الأناجيل.

المبحث الأول

حقيقة الوحدانية الإنجيلية

من المعلوم أن فكرة التوحيد في التثليث ، والتثليث في التوحيد فكرة ركز عليها النصارى ، وأطالوا في شرحها وتبريرها ، وذلك بتحميل اللفظ مالا يحتمل علي الرغم مما هو موجد في الأناجيل من نصوص تدل علي وحدانية الله وحدانية مطلقة لا تقبل تأويلاً .

فالوحدانية عندهم هي التي تحتوي علي ثالوث مقدس يضم الآب والابن والروح القدس ، وهذه هي الوحدانية الجامعة لديهم .

فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية " يمكن التعبير عن عقيدة التثليث المسيحية تعبيراً صحيحا بالكلمات الآتية : إن الآب إله ، والابن إله ، والروح القدس إله ، غير أن هؤلاء الثلاثة بالمجموع ليسوا ثلاثة آلهة ، وإنما هو إله واحد "[1] .

ولنترك المجال فسيحا للنصارى حتى يعبروا عن المقصود بالوحدانية في أناجيلهم وعن معتقداتهم فيها.

1 – يقول القس "بولس سباط " شارحاً هذه العقيدة : " يرى النصارى أن الباري تعالى جوهر واحد ، موصوف بصفات الكمال ، وله ثلاث خواص ذاتية ، كشف المسيح عنها القناع ، وهي الآب ، والابن ، والروح القدس ، ويشيرون بالجوهر الذي يسمونه الباري ذا العقل المجرد إلى الآب ، وبالجوهر نفسه الذي يسمونه ذا العقل العاقل ذاته إلى الابن ، وبالجوهر عينه الذي يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته إلى الروح القدس ، ويريدون بالجوهر ما أقام بنفسه مستغنياً عن الظروف"[2] .

2– ويقول القس "بولس الياس " مبرراً عقيدة الثالوث في كتابه يسوع المسيح " : من الناس من يقولون : لِمَ يا ترى إله واحد في ثلاثة أقانيم ؟ أو ليس في تعدد الأقانيم

---

1 – ما هي النصرانية : محمد تقي العثماني صـ 37 0 ط . مكتبة دار العلوم كراتشي .

2 ـ المسيحية . د . أحمد شلبي صـ140 ط دار النهضة العربية ط 8 سنة 1984م.

انتقاص لقدرة الله ؟ أو ليس من الأفضل أن يقال الله واحد وحسب ؟ ويتولى هو الإجابة بنفسه على كل هذه الأسئلة فيقول : لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث ، وكنه الله محبة ، ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيداً ، فالمحبة هي مصدر سعادة الله ، والمحبة تفترض شخصين على الأقل يتحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما ، بحيث يندفع المحب إلى هبة الذات لمن يحب هبة تكون فيها سعادتها ، ولكي يكون الله سعيداً كان عليه أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ويكون بالتالي صورة ناطقة له ، ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل ، ووهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، وثمرة المحبة المتبادلة بين الآب والابن كانت الروح القدس [1] .

3- وجاء في دائرة المعارف البريطانية " يمكن التعبير عن عقيدة التثليث المسيحية تعبيرًا صحيحا بالكلمات الآتية : إن الآب إله ، والابن إله ، وروح القدس إله ، غير أن هؤلاء الثلاثة بالمجموع ليسوا ثلاثة آلهة وإنما هم إله واحد ، ذلك أنه بينما نضطر طبقا للعقيدة المسيحية أن نعتبر كلا من هذه الأقانيم الثلاثة إلها ومولى إذا المذهب الكاثوليكي ينهانا أن نعتبرها ثلاثة آلهة أو ثلاثة موالى" [2] .

4ـ ويقول (سينت اوغسطينوس)العالم والفيلسوف المسيحي المعروف في القرن الثالث الميلادي ... جميع علماء العهد القديم والعهد الجديد الكاثوليك ، الذين أتيح لي أن أقرأ لهم والذين كتبوا من قبلي في موضوع التثليث كلهم يريدون أن يلقنوا في ضوء الصحف المقدسة عقيدة أن الآب، والابن ، وروح القدس يشكلون بالمجموع وحدة إلهية لا تقبل التقسيم كنهها وحقيقتها ، فليسوا ثلاثة آلهة ، وإنما هم إله واحد ، وبما أن الآب خلق الابن فالآب ليس بالابن وكذلك الابن ولد من الآب ، فالابن ليس بالآب وكذلك الروح القدس ليس بالآب والابن وإنما هو روح الآب والابن يوجد فيهما سواء ويشاركهما في الوحدة الثالوثية ، ولا يظن أن هذه الوحدة الثالثوية هي ذاتها

---

1 ـ الله واحد أم ثالوث ، مجدي مرجان . صـ17 .

2 – ينظر: ما هي النصرانية للأستاذ . محمد تقي العثماني صـ 37 0

ولدت من بطن مريم العذراء وصلبها ... ودفنت ثم قامت من القبر في اليوم الثالث ودخلت الجنة لأن هذه الحوادث لم تقع للوحدة الثالوثية وإنما حدثت للابن وحده"[1].

5- يقول الدكتور يوسف بوست شارحاً هذه العقيدة : " طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية ، الله الآب ، الله الابن ، الله الروح القدس ، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن ، وإلى الابن الفداء وإلى الروح القدس التطهير غير أن الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء "[2].

6- ويقول زكى شنودة : " وقد عرف المسيحيون من السيد المسيح أن الله واحد في ثلاثة أقانيم هم الآب والابن والروح القدس ، وأن هذه الأقانيم الإلهية هي طبيعة واحدة وذات واحدة ، وجوهر واحد بسيط منـزه عن التأليف والتركيب ، وهذه حقيقة تفوق الإدراك البشرى .. . وقد فهمنا من كلام السيد المسيح أن الأقانيم الثلاثة الذين في الله ، وإن اتحدوا جوهراً وطبعاً وذاتاً وصاروا واحداً ، إلا أنهم ثلاثة لا واحد من حيث الأقنومية ، فالآب ليس هو الابن ، والروح القدس ليس هو الآب ولا الابن "[3].

هذا هو مضمون عقيدة التثليث من خلال أقوالهم التي إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى اتفاقهم في هذه العقيدة ، وإن كانوا يحاولون الظهور بمظهر من يجمع بين التوحيد والتثليث ، ولكنهم عند محاولتهم تستغلق فكرة التثليث ، وتصير بعيدة عن التصور ، كما أنها في ذاتها مستحيلة التصديق .

يقول القس توفيق جيد : " إن الدخول إلى المسيحية لا يتم إلا بالإيمان بسر الأزل سر الثالوث الأقدس إن كلمة السر التي بها يقبل أي كائن في ملكوت السماوات هي سر الأزل سر الثالوث الأقدس"[4].

ويذكر القس بوطر صاحب " رسالة الأصول والفروع " بعد بيانه لعقيدة

1ـ نفس المرجع صـ 37 ، 38 .

2- قاموس الكتاب المقدس صـ232.

3- تاريخ الأقباط زكى شنودة 1 / 276 . نشر لجنة التأليف والنشر ط1 . 1962 م

4- سر الأزل صـ50 نقلاً عن الله واحد أم ثالوث صـ25 .

التثليث فيقول : قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ، نرجو أن نفهمه أكثر جلاء في المستقبل ، حين يكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات وما في الأرض ، وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية ، ومفهوم قوله أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها وحقيقتها إلا يوم أن تتجلى لهم الأشياء يوم القيامة ، وذلك حق فإنهم لا يعلمون حقيقتها إلا يوم يقفون بين يدي الله -ﷻ- يوم الحساب ليحاسبهم عليها [1].

فالتثليث إذن من أهم العقائد النصرانية التي لا يستطيعون إنكاره ؛ لأن إنكاره وانتفاءه يعني انقضاء ذات كل نصراني كما ورد عنهم .

فقد جاء على لسان أحد علمائهم – الذي خرج عليهم وهداه الله إلى الإسلام فيذكر أنه لا يصح مطلقا نفي التثليث ؛ لأنه بانتفائه تنتفي أنت إذ هو أنموذجك ، ومصدر صفاتك الذاتية الثلاثية الذات ، والنطق ، والحياة ، وآثارها غير مفقودة ، فكيف يصح انتفاؤك وأنت موجود بنفي الأقانيم الثلاثة الإلهية [2].

وإذا كان النصارى يؤمنون بثلاثة أقانيم أو ثلاثة آلهة الآب والابن والروح القدس ، فإنهم يقولون أن الثلاثة واحد ، وهذا أمر لا يعقل ولا يفهم لأن العقل لا يمكن أن يتصور أن ثلاثة ذوات تصبح ذاتاً واحدة ، إنما العقل يتصور أن ذاتاً واحدة تتصف بصفات متعددة ، وهذا هو ما يتصوره العقل ويقبله ، وإذا كان الأمر علي هذا النحو فما الذي دعا النصارى إلى الجمع و التوفيق بين التوحيد و التثليث؟ وما الداعي إلى الإيمان بالتثليث ؟ مع أن النصرانية في أصلها ديانة موحدة ، وما الطرق التي اتبعها النصارى لحل هذه المعضلة علي حد زعمهم ؟

وللإجابة علي النقطة الأولي أقول وبالله التوفيق :

1- أن المسيحية في أساسها كما جاء بها المسيح ا وكما آمن بها الحواريون والتلاميذ كانت رسالة سماوية صحيحة ا وجميع الرسالات السماوية جاءت بالدعوة إلى التوحيد

1- نظر: محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة صـ 105 .دار الفكر العربي ط3 1281هـ1961 م.

2 – انظر: الله واحد أم ثالوث د .محمد مجدي مرجان صـ 10 ط دار النهضة العربية القاهرة 0

الخالص .

2- أن المسيحية نشأت في أحضان اليهودية أ واليهود يدينون بالتوحيد فما كان للمسيحيين أن يعلنوا التثليث ويلغوا التوحيد وإلا ما آمن بها أحد من اليهود[1] .

3- ما ذكره الإمام أبو زهرة من أن شغف النصارى بذكر التوحيد بجوار التثليث ، أو على الأقل يجتهد بعضهم في بيان أنه لا منافاة بينهما ؟ لعل الذي يدفعهم إلى ذلك هو اعتبارهم التوراة كتاباً مقدساً عندهم ، وهى تصرح بالتوحيد ، وتدعو إليه ، وتحث عليه ، وتنهى عن الشرك بكل شعبه ، وكل أحواله ، بل تدعو إلى البراءة من المشركين أينما كانوا وحينما ثقفوا فهم يجتهدون أولاً: في أن يستنبطوا من نصوصها ما يحملونه على الإشارة إلى التثليث ، كعبارة " كلمة الله " ، أو عبارة " روح القدس"[2] .

وأحياناً كانوا يدركون أن ما في التوراة لا يساعدهم على القول بالتثليث فكانوا يلجئون إلى طريق آخر يوضحه لنا ، حبيب سعد بقوله : " قد يقال : هل في نظر المسيحية شيء ما يعدو حدود العهد القديم ، أي دين اليهودية ، وليس لهذا السؤال إلا جواب واحد وجواب جد خطير ألا وهو أننا في الواقع نشرح العهد القديم في ضوء العهد الجديد ، وهو بهذا كما ترى يحتم أن يوجه العهد القديم وجهة العهد الجديد ، أو قل يجعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً "[3] .

4- يحاولون أن يرجعوا التثليث إلى الوحدانية ، لتلتقي التوراة مع الإنجيل فيقربوا التوراة إليهم بتحميل عباراتها ما لا تحتمل ويقربوا عقائدهم من التوراة بتضمين ثالوثهم معنى التوحيد وإن كان هو أيضا لا يحتمل ذلك ، ولعل ذلك تتميم للفلسفة الرومانية التي كانت تحاول الجمع بين مسيحية المسيح عليه السلام ووثنية الرومان ، وتوراة اليهود بما لا تحمل من وحدانية ظاهرة لا شبه فيها إلا التجسيد أو ما يوهمه في

1- ينظر : المسيح والمسيحية في القرآن والعهد الجديد د.عبد الرحمن المركبي صـ166-167 مطبعة الشمس شبين الكوم

2- محاضرات في النصرانية صـ106 .

3- المسيحية. د . أحمد شلبي صـ 144 .

بعض عبارتها 0 [1] هذا عن النقطة الأولي .

أما عن النقطة الثانية : فإن الإيمان بالتثليث والدفاع عنه فيرجع إلى عدة عوامل وهي علي النحو التالي :-

* التأثر بالوثنية الرومانية التي كانت تحتل البلاد آنذاك وتضم تحت سلطانها بلاد حوض البحر المتوسط جميعاً ، وهذا ما يقربهم إلى السلطة الحاكمة علي حساب اليهود الذين يرون في الوثنية الرومانية شركاً وكفراً بالله.

* التأثر بالفلسفة اليونانية لاسيما الأفلاطونية الحديثة التي انتشرت في مصر وسوريا وفارس وغيرها .

* الغلو في شأن عيسي عليه السلام ؛ نظراً للإرهاصات والآيات التي جاء بها والتي لا تتأتي في نظر العامة ومن يقودونهم إلا من إله قادر علي الإتيان بها [2].

لكل هذا أصر النصارى علي التثليث والتوحيد وآمنوا بهما .

أما عن النقطة الثالثة : وهي الطرق التي اتبعها النصارى لتحقيق التوفيق بين المتناقضين أو بمعني أخر بين التوحيد والتثليث فأقول وبالله تعالى التوفيق : لقد اتخذ النصارى لتحقيق هذا التوفيق طرق متعددة وهي :

الطريقة الأولى : يقولون فيها لو علم المسلمون مرادنا بالآب والابن والروح القدس ، لما أنكروا علينا فإن مرادنا بالآب الذات ، والابن النطق ، والروح القدس الحياة ، والثلاثة واحد ، وهذه الثلاثة يعتقدها المسلمون [3] .

يقول الدكتور يوسف بوست شارحاً هذه العقيدة : طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية ، الله الآب ، الله الابن ، الله الروح القدس ، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن ، وإلى الابن الفداء وإلى الروح القدس التطهير غير أن الثلاثة أقانيم

---

1 – ينظر: محاضرات في النصرانية للإمام محمد أبو زهرة صـ 106 0

2 – ينظر: انظر:المسيح والمسيحية في القرآن والعهد الجديد د.عبد الحمن المركبي صـ167 .

3 – ينظر: الأجوبة الفاخرة للإمام القرافي تحقيق د. بكر زكى عوض صـ 134 ط 1986م.

تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء [1].

الطريقة الثانية : وهي تقوم علي أساس : أن فكرة التعدد في الوحدانية ليست غريبة عن كتاب الله أو عن خلقه . فالإنسان نفسه واحد وثالوث في آن واحد ، فهو مكون من نفس وروح وجسد. كذلك الإله مكون من آب وابن وروح قدس . يقول القس قائم الدين معبراً عن ذلك : التأمل في التركيب الجسماني للإنسان يدل على أن كيانه يتألف من الأجزاء المادية المتجانسة التي تستطيع الأنظار المادية أن تربى هيأتها الاتحادية فمثلا : العظم ، واللحم ، والدم من اتحاد هذه الأشياء الثلاثة يقوم الجسم الإنساني في الوجود ولو فقد واحد منها لما تم وجود الجسم الإنسان [2] .

ويقول إلياس مقار : وهناك قياس آخر يؤخذ من طبيعة الإنسان نفسه فهذه الطبيعة تمثل ظاهرة الواحد في الثلاثة والثلاثة في الواحد ... وهناك القياس المستمد من حقيقية الله ذاتها ، وهو القياس الذي أخذه أوغسطنيوس من صفة الله محبة ، إذ تكون المحبة عاطلة وغير ذات موضوع ما لم يكن هناك محبة ومحبوب وذاتية المحبة ، وهذا القياس هو تصور أن الإنسان الواحد مكون من ثلاثية " النفس والروح والجسد " فهذه الصورة ترينا التعدد والوحدة في ذات الإنسان الواحد [3] .

ولما كان فكرة تشبيه الذات الإلهية بالإنسان فكرة غير مقبولة – شكلاً ومضموناً– لذا أخذوا يشبهون ذلك التوحيد في التثليث بتشبيهات أخرى تحل هذا التناقض الذي وقعوا فيه ودانوا به – علي حد زعمهم – فشبهوا التوحيد في التثليث بالشمس والبيضة ، والتفاحة والزمن والمثلث وغير ذلك من التشبيهات الأخرى المحسوسة . وفيما يلي

---

1 – ينظر: قاموس الكتاب المقدس صـ232 .

2 – ينظر: تكشيف التثليث في شرح وتفسير عقيدة التثليث : للقس قائم الدين صـ 24 ط مطبعة لاهور باكستان عام 1972 م نقلاً عن ما هي النصرانية : محمد تقي العثماني صـ 46: 48.

3 – ينظر: إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى : إلياس مقار صـ 74 . دار الثقافة القاهرة .ط 2 .1978م .

عرض لبعض النماذج التي تؤكد صدق ما نذكره من جهة ، وتوضح مدي تهافتهم وتناقضهم من جهة أخري .

مثال الزمن : إن الزمن ثلاثي ماضٍ، وحاضر ، ومستقبل ، لو كان الزمن ثنائيا فقط لما كان للزمن وجود ، فلنفرض مثلا أنه ليس هناك ماضٍ ، إذاً فما كان وجود للزمن حتى هذه اللحظة ، وبعد قليل أيضا لن يكون لهذه اللحظة التي نتكلم عنها وجود معنى ذلك أن الزمن كله قد تلاشى ، أو لنفترض أنه لم يكن هناك حاضر ، هذا معناه أنه ما كان هناك لحظة على الإطلاق كان الزمن موجودا فيها وبالمثل أيضا إذا لم يكن هناك مستقبل فإن الزمن ينتهي في اللحظة التي نحن فيها بل ويقينا يكون قد انتهى من قبل ذلك و بالتالي لا يكون هناك زمن على الإطلاق ، إذا إما أن يكون الزمن ثلاثيا وإلا فلا زمن0 كذلك الإله إما أن يكون ثلاثة وإما أن يكون لا إله [1].

مثال التفاحة : من المعلوم أن التفاحة تتكون من ثلاث خواص هي الذات والطعم والرائحة ، ويمكن التمييز بين هذه العناصر الثلاثة فالتفاحة وإن كانت واحدة ، فالرائحة مثلا غير الذات والطعم ، والذات هي علة الطعم والرائحة ، وكما أن التفاحة لا توجد بدون الطعم والرائحة كذلك لا يمكن تصور الآب بدون الابن والروح القدس ، فبغير هذه الأقانيم لا يتأيد وجود الله ، والإنسان عندما يأكل التفاحة فإنه يأكل الذات ، وبحاسة الذوق يميز الطعم ، وبحاسة الشم يميز الرائحة [2] .

مثال المثلث : للمثلث زوايا ثلاث وكما أن الزوايا الثلاث في المثلث لا تجعل منه ثلاثة مثلثات بل واحد، فكذا الأمر في الأقانيم الثلاثة وهكذا مع الفارق الكبير في هذا السر العميق تتألف ذات الله من أقانيم ثلاثة وهو إله واحد .

هذا هو الثالوث الأقدس في المسيحية ، وكمسيحي أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له واحد أحد في أقانيم ثلاثة الآب والابن والروح القدس له المجد والكرامة

---

1 – ينظر ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي . يوسف رياض صـ 46 .

2 – ينظر:الله واحد أم ثالوث د. محمد مجدي مرجان صـ 16 .

والسلطان إلى أبد الآبدين[1] .

هذه بعض التشبيهات التي حاول بها النصارى حل إشكالية التثليث وهى كما نري " غير متطابقة ذلك أن المسيحيين أغفلوا فيها أن الذات والنطق والروح في الإنسان لا يكون كل واحد منها ذاتاً مستقلة بنفسها فلا يطلق علي الذات وحدها إنساناً ولا علي النطق وحده أوكذلك الروح "[2].

ومع هذا فإن النصارى يتمسكون بهذه العقيدة ولا يرون غضاضة في ذلك بل هي من مكملات الإيمان لديهم لا تكتمل العقيدة الحقة لديهم بدونها .

الطريقة الثالثة : طريقة إعادة النظر في الأقانيم الثلاثة : علي الرغم من الحلول التي قدمها رجال الدين النصراني لحل معضلة الجمع بين المتناقضين إلا أنها جاءت قاصرة عن الوفاء بالمطلوب لا تسمن ولا تغنى من جوع.

لذا قدمت إحدى الفرق النصرانية حلاً محاولةً من خلاله إيجاد مخرج لهذا المأزق الذي سبب حرجاً بالغاً لرجال الكنيسة، وجعل الناس ينظرون للنصرانية علي أنها عقيدة باطلة حيث إنها تتناقض مع العقل وتتصادم مع الفطرة .

يقول الأستاذ . محمد تقي العثماني : " وقد تحدث البروفيسور" مارس ريلتون " عن الصورة الممتعة لما قدمته فرق شتى من حلول مختلفة للقضية ، وذلك في كتابه القيم (دراسات في العقيدة المسيحية) فقال : لقد نهضت الفرقة

(الأيبيونية) لحل هذه المعضلة فسقطت في أول الطريق ، واعترفت بأنها لا تستطيع الاحتفاظ بعقيدة التوحيد ،لو آمنت بألوهية المسيح عليه السلام ، فلا بد من الاعتراف بأنه لم يكن الإله الكامل ، و يمكن أن يقال : إنه – أي المسيح عليه السلام – كان مثيل الله ، أو انعكاسا لأخلاق الله ، ولا يمكن أن يقال إنه في الحقيقة إلها مثلما كان الآب .

وبما أن هذه الفرقة حاولت حل هذه القضية بضرب القاعدة التي تقوم عليها العقيدة المسيحية ، فعارضتها الكنيسة معارضة سافرة ، واعتبرت المنتمين إليها مبتدعين

---

1 – ينظر:أديان العالم. حبيب سعيد صـ 297 0.

2 – تأثر المسيحية بالأديان الوضعية د . أحمد عجيبةجـ2 صـ 508 .

ملحدين وعلى ذلك فكان هذا الحل للقضية مرفوضا .

ونهض بعض رجال الفرقة الأيبيونية وقالوا : لا ينبغي معارضة ألوهية المسيح بهذه الصراحة ، ينبغي أن نعده إلها ، وتجنباً من تهمة الشرك يجب الإيمان بأن الإله بالذات إنما هو الآب لكن العقيدة الثالوثية أيضا صحيحة ، ذلك أن الآب بنفسه قد منح الابن وروح القدس صفة الألوهية هذه [1].

غير أن هذا المذهب كان يتعارض مع عامة المذاهب الكنسية ، لأن الكنيسة تؤمن بالابن إلها بالذات كالآب تماما ، فاعتبرت هذه الفرقة كذلك ملحدة ، وبقيت القضية كما كانت دونما حل .

ونهضت فرقة ثالثة باسم آخر وزعماء آخرين وقد جاءوا من أجل حل هذه القضية بفلسفة جديدة : زعموا أن الآب والابن ليسا في الواقع أقنومين منفردين ، وإنما هما مظهران مختلفان لإقنوم واحد ، أطلق على كل منهما اسم على حدة وأن الله في الواقع هو الآب ، وهو قديم في ذاته خالد لا يفنى ولا تدركه الأنظار البشرية ، ولا تطرأ عليه العوارض البشرية وبما أنه إله ، ولا يستطيع أحد أن يفرض حدا على الإرادة الإلهية ، فلو شاء في وقت أن يفرض على نفسه العوارض البشرية لصنع ذلك ، ولو شاء لتراءى للإنسان في صورته حتى أنه لو شاء لمات أمام الناس ، فشاء الله ذات مرة أن يظهر في صورة إنسان ، فتجسد في يسوع المسيح ، وتراءى للناس ، ونالته اليهود بأنواع الإيذاء حتى صلبوه ، إذا فإن يسوع المسيح أو الابن ليس بإقنوم مستقل وإنما هو الأب الذي اتخذ شكل الإنسان وأطلق على نفسه اسم الابن .

ومن الواضح أن هذه الفلسفة إذ تقدمت خطوة نحو حل قضية اتحاد الثلاثة والواحد ، فإنها أثارت بجانب ذلك قضايا مستعصية على الحل ... ثم إن هذه الفرقة هي الأخرى لم تسعف المذهب الكنسي بشيء في اعتباره الأب والابن أقنومين مستقلين

---

1 – ينظر: دراسات في العقيدة المسيحية . مارس يلتون صـ 61 وما بعدها نقلا عن كتاب ما هي النصرانية : محمد تقي العثماني صـ 43 ـ 44 .

فاعتبرت كذلك مبتدعة ، وبقيت القضية كما كانت تنتظر الحل[1].

الطريقة الرابعة : قصور العقل الإنساني عن فهمها : لما عجز النصارى عن إيجاد طريقة مقنعة يقبلها العقل ويرتضيها لحل هذه المشكلة لجئوا إلى طريقه أخري لا تقل ضعفاً عن الطرق الأخرى .

وهذه الطريقة تقوم علي أساس عجز العقل الإنساني عن حل تلك المشكلة لكونها خارج حدوده و فوق طاقاته. فهم يقولون : إن العقل لا يستطيع أن يدرك حقيقة الوحدانية في التثليث .

ويؤكد هذا د. وطسون فيذكر: إن عقيدة الثالوث لا تضاد العقل بل تفوقه [2].

و يقول عوض سمعان في صراحة : إننا لا ننكر أن التثليث يسمو فوق العقل إدراكه ؛ لأن الله عجيب في ذاته ولا يمكن الإحاطة به إطلاقا ، وإذا كنا نقول بذلك فإن قولنا هذا يتفق مع كمال الله كل التوافق ، ومن هنا نري أن هناك فرقاً بين الأمور التي تسمو فوق العقل ، وتلك التي لا تتفق معه فالأولي هي التي تتفق معه في أساسها ، لكن لسموها لا نستطيع الإحاطة بكنهها أما الثانية فإنها لا تتفق معه إطلاقاً لا في أساسها ولا في كنهها ، وحسب كلامه فالتثليث من النوع الأول[3] .

ويقول يوسف رياض : هذه الحقيقة أعنى وحدانية الله الجامعة المانعة ... هي بالفعل فوق العقل والإدراك لكن هذا لا يعبها بل بالعكس إنه دليل صحتها ، فالعقل إذا أخترع شيئا فإنه يخترع ما يتناسب مع قدرته وفي حدودها ، فكون هذه الحقيقة أسمى من العقل فهذا دليل على أنها ليست من إنتاجه .لقد شغلت هذه المعضلة ذهن

---

1 – انظر: ما هي النصرانية صـ44 ـ54 .

2 – ينظر: شرح أصول الإيمان د. أندور وطسون . صـ47 . راجعه وأتمه إبراهيم سعيد . مطبعة النيل المسيحية . القاهرة 1930 م .

3 – ينظر: الله ذاته ونوع وحدانيته. عوض سمعان صـ 136 .

المفكر المسيحي القديم أغسطنيوس دون أن يهتدي إلى حل يقنعه تماما [1] .

وبعد ... فهذه هي الطريقة الأخيرة التي في يد أصحاب الثالوث. يحاولون من خلالها تبرير ما هم عليه من ضلال رغبة منهم في السيطرة علي أتباعهم. وإقناعهم بها، ولكن إلى أي مدى يقتنع العقل بأن الثالوث فوق طاقتة وخارج حدوده ؟ إن مثل هذا يدل على أن هذه العقيدة من مفترياتهم ما أنزل الله بها من سلطان 0

ثم إن محاولات الجمع بين الوحدانية والتثليث التي يقوم بها رجال النصرانية لهي من أوضح البراهين على فساد هذه العقيدة وتناقضها فهي دون عناء تتصادم مع أبسط قواعد العقل وتتناقص مع قوانين الفكر الأساسية. إذ كيف يكون الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ؟

وقصارى القول : إن عقيدة التثليث عند النصارى ما هي إلا لون من ألوان الوثنية والشرك تتنافي مع جلال الله تعالى وكماله ، لكن العجيب أن النصارى يجعلونها مظهراً من مظاهر كماله وكبريائه ، فالتثليث لديهم منتهى كمال الألوهية أعلي حين أن التوحيد الذي هو من كمال الألوهية يعد نقصا في الذات الإلهية عندهم.

يذكر القس بولس إلياس مبررا عقيدة الثالوث : من الناس من يقول لم يا ترى إله واحد في ثلاثة أقانيم ؟ أو ليس في تعدد الأقانيم انتقاص لقدرة الله ؟ أو ليس من الأفضل أن يقال الله واحد وحسب ؟ ولكنة يجب عن نفسه قائلا : لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث ، وكنه الله محبة ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيدا ، فالمحبة هي مصدر سعادة الله والمحبة تفترض شخصين على الأقل يتحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما ، بحيث يندفع المحب إلى هبة الذات لمن يحب ، هبة تكون فيها سعادتهما ، ولكي يكون الله سعيدا كان عليه أن يهب ذاته شخصا آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ويكون بالتالي صورة ناطقة ، ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه ووهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته وثمرة المحبة

---

1 – ينظر: ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي . يوسف رياض صـ 38 ط5 سنة 1997 م 0

المتبادلة بين الأب والابن كانت الروح القدس .

ومعني هذا على حد قوله أن الله ليس كائنا تائها في الفضاء منعزلا في السماء لكنه أسرة مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة ، وتفيض منها على الكون براءته .

وهكذا يمكننا أن نقول إن كنه الله يفرض فيه التثليث ، إن العائلة المسيحية في نظر المسيحي صورة مصغرة للعائلة الإلهية المثلثة الأقانيم[1] .

وهكذا يقرر النصارى أن الإله يحتاج إلى شخص آخر من جنسه الإلهي يهبه حبه ويجد فيه سعادته وتكتمل به ألوهيته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

1 – ينظر: يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه للقس بولس إلياس صـ 79 ـ 80 ط المطبعة الكاثولوليكية بيروت ط2 سنة 1966 م 0

المبحث الثاني

كيف تحولت عقيدة النصارى من التوحيد إلى التثليث ؟

موضوع الثالوث في العقيدة المسيحية موضوع ذو أهمية بالغة، ذلك لأن قول الكنيسة بوحدانية الله ، وامتياز الأقانيم أحدها عن الآخر، ومساواتها في الجوهر، ونسبة أحدها إلى الآخر، كل ذلك لم يرد فيه جملة واحدة بالتصريح في الكتاب المقدس .و لما كانت المسيحية في الأصل ديانة سماوية أي ديانة موحدة كان معني هذا أن عقيدة التثليث لم يكن لها أثر في بداية هذه الديانة فهذه العقيدة دخيلة عليها .

ولكن كيف ذلك ؟ والجواب لقد تم ذلك على مرحلتين :

المرحلة الأولي : عن طريق بولس .

فالثابت من التتبع التاريخي لأطوار العقيدة النصرانية، أن عقيدة التثليث، وكذلك عقيدة بنوة المسيح لله تعالى ، ومثلها عقيدة ألوهية أمه مريم، ودخولها في التثليثات المتعددة الأشكال ونحو ذلك من الانحرافات، كلها لم تصاحب النصرانية الأولى، إنما وفدت إليها عن طريق " بولس ".

ومن المعروف عن بولس تاريخيا " أنه ولد بأرض يونانية يتحدث بلغة اليونان ويكتبها منذ نشأته الأولى ، وكان ينتمي إلى عائلة ذات شأن ويحمل لقب " مواطن روماني " ورثه عن أبيه فكان بكل ذلك معدا إعدادا تاما لإدراك وتفهم التطلعات الدينية لدى يهود المهجر الذين يؤمنون بعيسى كما آمن به ... ، وكان في البدء علي عداء عنيف للمسيحيين ... إن بولس هذا لم يلتق بعيسى مدة حياته " [1] .

ولم يجالسه أو يتحدث إليه كما أنه " لم يسمع منه ، ولم يشاهده كما هو الحال عند الحواريين ، فهذا يعد نقطة ضعف في حياته كيهودي دخل النصرانية لأغراض كبيرة خطط لها ، وأهداف واسعة أعد لها العدة من هنا نسج شاول من خياله قصة تضفي عليه قدسية تضعه في مصاف الحواريين إن لم يكن في مرتبة أعلى ودرجة أفضل وتمنح

---

1 – المسيحية نشأتها وتطورها . شارل جنيبير صـ 90

أقواله الصدق والوثوق "[1] .

جاء في سفر أعمال الرسل : " وفي ذهابه حدث انه أقترب إلى دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمعا صوتا قائلا : شاول شاول لماذا تضطهدني ، فقال : من أنت يا سيد فقال : الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده ... فقال : وهو مرتعد ومتحير يا رب ماذا تريد أن أفعل فقال : له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل ، وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق ... وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم "[2] .

وهكذا قام بولس بوضع البذرة الأولى لدعوة التثليث علي الرغم من كونه لم يصرح بها إلا أنه وضع اللبنة الأولي فيها وذلك من خلال هذه الحادثة حيث أضاف إلى نفسه تلك المعجزة ، وهذا يعنى أنه تعلم المسيحية من الرب المسيح نفسه دون تعليم من أحد .

فقد جاء عنه " وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان ؛ لأني لم أقبله من عند إنسان ، ولا تعلمته ، بل بإعلان يسوع المسيح " [3].

وعلي هذا ساهم بولس في صياغة سائر المعتقدات النصرانية، علي الرغم من خلو رسائله من تأليه الروح القدس ، كما خلت من ذكر عناصر التثليث مجتمعة إلا في نص واحد، لا يفهم منهما يعتقده النصارى من التثليث ، وقد جاء ذلك في قوله :" نعمة ربنا يسوع ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم"[4].

---

1 – عقيدة التثليث عند النصارى نشأتها تطورها إبطالها أ.د . محمد شلبي شتيوى صـ 19 ط مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية . الكويت السنة الثالثة . العدد الخامس شوال سنة 1406 هـ الموافق يوليو 1986 م 0

2 – سفر أعمال الرسول . 9 / 3– 20 0

3 – رسالة بولس إلى أهل غلاطية : 11 / 1ـ2 0

4 – رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس . 13/ 14 0

ومما يؤكد غفلة بولس عن التثليث التأمل في ترتيب عناصر التثليث المذكورين في النص ، إذ يقدم المسيح على الأب ، وهو ما تعتبره الفرق النصرانية على خلاف.

ويضاف إلى ذلك أنه سمي الأقنوم الأول : الله . فيما تسميه صيغة التثليث : الآب ، كما سمي الأقنوم الثاني : المسيح ، فيما هو عندهم : الابن أو الكلمة . إلا أن هذا لا ينفي أثره علي العقيدة النصرانية بصفة عامة ومن بينها التثليث

يقول د/ محمد شلبي : " إن القول ببنوة عيسى لله التي – ابتدعها بولس – وإن لم يكن نصا صريحا في التثليث إلا أنه أهم خطوة وأخطر عمل تسبب في القول بالتثليث ذلك أن القول بالتثليث سبقه القول بثنائية الألوهية (الله ، عيسى) الذي نتج عنه القول بالتثليث فحيث عيسى ابن إله أو رب مخلص ومنقذ لزم أن تكون أمه إلها – كما ادعى البعض ذلك – وهذا وإن ظهر بعد بولس إلا أنه فتح باب القول به فعليه وزره ووزر من عمل به إلى يوم القيامة"[1].

المرحلة الثانية : بقوة السيف وجبروت السلطان .

إذا كانت المرحلة الأولي لهذه العقيدة مرت دون إيذاء لأحد حيث النفاق ، والخداع والمكر ،والدهاء ، كل ذلك كان مستخدماً فيها بديلاً عن القوة ، ولا عجب في ذلك فالداعي إلى أمر من الأمور لابد له في بدايتة لضمان نجاحه أن يدعوا له بعيداً عن القوة والبطش وإلا أدي ذلك إلى القضاء عليه وهولا يزال في مهده وهذا ما فعله بولس .

يقول د. محمود مزر وعه : إن شاءول بدا له أن يكيد لهذا الدين الجديد ويحطم هذه الدعوة الوليدة ، وبدا له أن طريق النفاق والخداع أجدى له من العداء السافر، وبدا له أيضا أن يرفع المسيح من مكانه ليضع هو نفسه فيه وتاريخ الأديان مليء بمثل هذا " البولس " وليس هو في حقيقته إلا صورة سابقة لما جاء في الإسلام من " مسيلمة الكذاب " وأمثاله ، وعاد بولس من رحلته إلى دمشق وبدأ بتمثيلية محكمة

1 – عقيدة التثليث عند النصارى د. محمد شلبي شتيوى صـ 20 .

ليصل من خلالها إلى ما يريد"[1] .

ففي هذه المرحلة تحولت النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، وتم ذلك عن طريق قوة السيف ، وجبروت السلطان وذلك من خلال المجامع التي عقدت بهدف الفصل في المسائل المختلف عليها حول شخص المسيح عليه السلام .

فقد" تم فرض الوثنية في مجمع نيقية علي المسيحيين فرضاً ،وقد استخدم الإمبراطور قسطنطين سلطانه في ذلك ،وفي التخريف والتبديل ، فهو الذي دعا إلى عقد هذا المجمع عام 325م ، واتخذ صفة عالم اللاهوت ، وتدخل في المناقشات وتوجيه القرارات لتكون حصيلتها تقرير ألوهية المسيح ، وأنه من جوهر الله ، وأنه قديم بقدمه ، وأنه غير مخلوق ، وتم في هذا المجمع إدانة الراهب آريوس الذي كان يرفض تأليه المسيح ، ويدعو إلى التوحيد وإنسانية عيسي ،كما تم إحراق كتبه وكتب أتباعه [2].

والراجح أن قسطنطين هذا كان وثنى الأصل عندما دعا القوم ليحسموا الخلاف كان عليه أن يرجح جانب الأغلبية الذين قالوا بعدم ألوهية المسيح وعدم التثليث ، ولكنه لم يفعل هذا بل ما فعله كان العكس وفرض القول بألوهية المسيح على الحاضرين فرضا ، واستخدم في هذا قوة السيف ، وجبروت السلطان .

يقول الإمام أبو زهرة : " ويظهر أن عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل في تكوين رأى الذين رأوا ألوهية المسيح ، فلقد يروي أن أولئك الـ 318 لم يكونوا مجمعين علي القول بألوهية المسيح ،ولكن تحت الإغراء بالسلطة الذي قام به قسطنطين بدفعه شارة ملكه ليتحكموا في المملكة أجمعوا ... فأمضى أولئك ذلك القرار تحت سلطان الترهيب أو الترغيب أوهما معا، وبذلك قرروا ألوهية المسيح ، وقسروا الناس عليه بقوة السيف ورهبة الحكام "[3].

---

1 – ينظر: دراسات في النصرانية د. مزروعة صـ 97 بدون .

2 – ينظر: تيارات ومذاهب فكرية معاصرة . د يحيى ربيع صـ 109 .ط1 .1423هـ . 2002م. بدون.

3 – محاضرات في النصرانية للإمام محمد أبو زهرة صـ 130 0

وبهذا المجمع وبما صدر عنه من قرارات تم التثليث وعرفت أقانيمه ، وكان هذا المجمع بمثابة الميلاد الحقيقي لهذه العقيدة عند النصارى ، هذه العقيدة التي أنشاها بولس اليهودي ، وأقرتها المجامع النصرانية بموافقة بعضهم ومعارضة أكثرهم ، والدليل علي ذلك " أن الذين اتخذوا هذا القرار هم ممثلو كنيستي روما والإسكندرية ، وقد كانوا قلة بالنسبة للمجتمعين (318) في مقابل (1730) أي أقل من سدس العدد الكلي وهو(2048) "[1] .

وكانت هذه هي المرحلة الثانية التي انتشرت عن طريقها عقيدة التثليث والقول بألوهية المسيح .

1 – المسيح والمسيحية .د عبد الرحمن المركبي صـ 177 0

المبحث الثالث

موقف الفرق النصرانية من وحدانية الإله الواردة في الأناجيل.

بالرغم مما هو موجود في كتب النصارى من أن اعتقاد بني جنسهم هو التوحيد المثلث إلا أنه مع هذا " لم يخل مكان من عشاق الحقيقة، ولم يخل زمان من عباد التوحيد، عرفوا الحقيقة وأعلنوها، ثم حاربوا في سبيلها، وضحوا من أجلها بكل عزيز، حتى الحياة نفسها دفعوها ثمنًا لإظهار الحقيقة "[1].

نعم لقد حفظ التاريخ أن النصارى لم تتفق كلمتهم، ولم يتوحد اعتقادهم في الوحدانية الثالوثية التي نسبها البعض إلى الله تعالى.

فلقد نادى الموحدون منهم بوحدانية تامة من شوائب التثليث والتشخيص، ودفعوا من أجلها الغالي والنفيس؛ إلا أنهم لم يكونوا من حيث نقاء العقيدة وصفاء الاعتقاد على درجة واحدة، فذهب بعضهم إلى التوحيد المطلق لله تعالى مقرين ببشرية عيسى رافضين المساواة بينه وبين الله تعالى.

بينما ذهب البعض منهم إلى أن المسيح هو "ابن الله"، لكنها بنوة ليست على حقيقتها، وإنما هي بمعنى قرب الدرجة والمنزلة، وعلى هذا، فالمسيح في درجة متوسطة بين الله والبشر.

وذهب البعض الآخر إلى القول بالوحدانية المجردة من التثليث، لكنه في نفس الوقت يقول بالمساواة التامة بين الأقانيم الثلاثة على اعتبار أنها واحد. وعلي هذا يكون مصطلح الأب، والابن، والروح القدس ما هو إلا تجليات أو ومظاهر، أو أسماء أو ألقاب للإله الواحد.

وهذا هو رأي كل فريق مع ذكر معتقده في الوحدانية، سواء في هذا قدامى النصارى، أو المحدثين منهم.

1ـ محمد مجدي مرجان. الله واحد أم ثالوث صـ 140.

أولاً : اعتقاد " أريوس " في الوحدانية .

يعد " أريوس " من أشهر وأقوى الذين دعوا إلى التوحيد المجرد في تاريخ النصرانية، إن لم يكن أشهرهم على الإطلاق فلقد كان رأيه بمثابة الزلزال الذي هز أركان الكنيسة لتبنيها القول بألوهية المسيح . إلا أن الباحثين لم تتفق كلمتهم حول اعتقاده في الوحدانية :-

(1) فبينما يذهب معظم النصارى وعلى رأسهم القس " إلياس مقار " إلى أن "أريوس " قد نادى بعدم مساواة الابن أو الروح القدس للأب، إذ إن كليهما في نظره مخلوق من الأب، وعلى هذا الأساس يكونان أقل منه، وإن كان الأب قد جعلهما معًا مشابهين لطبيعته الإلهية، كما أعطاهما المقام الأول بين الخليقة، إذ خلقهما أولاً، وفوض إليهما خلق بقية الخليقة والعالم وفداء البشرية بعد سقوطها، ومن ثم خلق العالم وافتداه بواسطة الابن، وهذا بدوره استخدام الروح القدس في الأعمال التي قام بها إتمامًا لمقاصد الله الأزلية "[1] .

فأريوس علي هذا يؤمن بوحدانية الله تعالى، أما الابن والروح القدس فهما مخلوقان مميزان عن سائر الخليقة لمشابهتهما الطبيعة الإلهية ، فلقد خلق الله أول ما خلق الابن، ثم عن طريقه خلق الخلق جميعًا، ولقد استعان الابن بالروح القدس في الأعمال التي قام بها.

(2) بينما يري الدكتور . محمد مجدي مرجان . بأن "أريوس" اعتقد في الوحدانية المجردة دون شائبة تذكر، كما أنه اعتقد بأن الابن والروح القدس مخلوقان ، وليس لهما ما يتميزون به عن سائر المخلوقات الأخرى فيقول :

" هذا أريوس يقرر أن الله وحده هو الإله الأصلي الواجب الوجود، أما الابن والروح القدس فهما كائنات من خلق الله، فيحكم عليه بالكفر والهرطقة، ويتقرر قتله مع مشايعيه ، وهذا أوريجانوس يعلن أن الله روح لا يدركه الفهم وهو أعلى من أن

1- إيماني أو القضايا المسيحية الكبرى. إلياس مقار صـ 62-63 . دار الثقافة القاهرة ط 2 . 1978.

يكون أوصافة شبيهة بإنسان وأن الله لا يجزاء وإن كان لم يعتبره مع ذلك أولا يحد ولا يحصى ، فيحكم عليه بالحرمان وتحرق كتبه ثم يطرد مع أتباعه"[1] .

(3) بينما يذهب الإمام الشهرستاني إلى أن أريوس بالرغم من أنه نادى بوحدانية الله تعالى وأن المسيح مخلوق إلا أنه يؤخذ عليه تسمية الإله بالآب والمسيح بالكلمة أو الابن كما يؤخذ عليه قوله بخلق المسيح قبل خلق العالم وأنه خالق الأشياء .

يقول الإمام الشهر ستاني : " زعم أريوس أن الله واحد سماه أبا وأن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء وهو مخلوق قبل خلق العالم وهو خالق الأشياء وزعم أن لله تعالى روحًا مخلوقة أكبر من سائر الأرواح وأنها واسطة بين الأب والابن تؤدي إليه الوحي "[2] .

وعلى هذا يمكن إيجاز موقف أريوس تجاه الوحدانية عند الإمام الشهرستاني فيما يلي :-

أولاً : نادى أريوس بوحدانية الله تعالى وحدانية مجردة وقد أطلق على الله اسم الآب .

ثانيًا : اعترف أريوس ببنوة عيسى لله لكنها ليست على حقيقتها وإنما تحمل على معنى الاصطفاء إذ أن عيسى ليس إلهًا بل هو مخلوق .

ثالثًا : يرى أريوس أن عيسى قد خلق قبل خلق العالم وهو خالق لجميع الأشياء .

رابعًا : الروح القدس ليس إلهًا وإنما مخلوق كواسطة بين الله والمسيح .

(4) ويرى صاحب كتاب " عقائد النصارى الموحدين " أن أريوس قد نادى بالوحدانية المجردة أما المسيح عنده فما هو إلا كائن متوسط بين الإله والإنسان إذ يقول : " يمكن إيجاز موقف أريوس في قياس فحواه : أنه إذا كان الابن قد خلقه الله في زمان وإذا كان مع كونه شبه إله غير مساو للأب في الأزلية فالنتيجة إذن : أنه ليس بإله حقيقي وإنما هو كائن متوسط بين الله والإنسان وبهذا أسقط أريوس مبدأ تأليه المسيح

1ـ الله واحد أم ثالوث صـ 139 .

2- الملل والنحل للشهرستاني.صـ 272.تحقيق أمير مهنا وزميله .دار المعرفة بيروت.1416 هـ 1996 م.

مجرد إنسان بل كائناً أرقي علي شبه إله، متجلياً في صورة بشر"[1] .

(5) بينما ذهب الدكتور . محمد البهي إلى أن أريوس أنكر أن عيسى ابن الله ومساويًا لله على نحو ما آل إليه الأمر على يد أصحاب مذهب المساواة، وقال: إنه إنسان محض، وقد وجدت فترة من الزمن قبل خلقه، أي إنه إنسان حادث، وعلل هذا الرأي بقوله : كيف تتفق دعوى وحدة الإله مع جعل عيسى إلهًا أيضًا ؟ نعم هو شبيه للإله على معنى أنه قريب منه في الدرجة والمنزلة، ولكنه ليس مساويًا له، واعتراف أريوس بكون عيسى شبيهًا للإله محافظة منه على رأي أوريجنس[2] في شكله وصورته[3] .

فأريوس حسب هذا الرأي اعتنق الوحدانية المجردة، وما يتبعها من لوازم، فلم يساو الله بأحد من مخلوقاته، كما اعترف بأن عيسى إنسان محض، وهو حادث مخلوق، أما قوله بأن المسيح شبيه للإله ليس على حقيقته، وإنما مقصوده من هذا أنه قريب الدرجة والمنزلة من الله تعالى، وقوله بهذا الشبه متابعة منه لأستاذه أوريجنس الذي " حمل بنوة المسيح لله وأبوة الله للمسيح على المعنى المجازي، وهو قرب المنزلة ومعنى أن المسيح ابن الله حينئذ هو أنه قريب من الله في الدرجة والمنزلة "[4] .

وعلي ما يبدو فإن رأي الدكتور البهي السابق هو الأقرب إلى الصواب والأولى بالقبول ؛ لأنه لو قال إن عيسى هو خالق الأشياء كلها، وهو في منزلة وسطي بين الله والإنسان، لكان هذا مرضيًا للنصارى في وقته، وما حكموا عليه وبالقتل ، ووصفوه بالهرطقة.

1- عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية حسني يوسف الأطير صـ 80 ط دار الأنصار . القاهرة 1405هـ - 1985 م.

2- أوريجنس المسيحي، زعيم الاتجاه الفلسفي في المسيحية شرح الإنجيل شرحًا حرفيًا للعامة والمبتدئين، وشرحًا أخلاقيًا للمتقدمين، وشرحًا رمزيًا صوفيًا للخاصة عاش في القرنين الثاني والثالث الميلاديين .185 – 254 م . (انظر: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي د/ محمد البهي صـ 74 ط وهبة . ط السادسة 1982م).

3- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي د/ محمد البهي المرجع السابق صـ 77 .

4 - المصدر نفسه صـ 75 .

والذي يعنينا هنا أن أريوس قد اعتنق الوحدانية المجردة ونادى بها، والتف حوله كثير من الموحدين إلى الحد الذي أفزع النصارى المثلثين في ذلك الوقت، وهذا باعتراف النصارى أنفسهم .

يقول صاحب كتاب فجر المسيحية :" ومنذ أوائل القرن الثالث برزت بقرنيها هرطقة أخرى، وكانت على الكنيسة أشد خطرًا من سائر الهرطقات، وذلك أن كاهنًا من كهنة الكنيسة في الإسكندرية يدعى "أريوس أعلن جاهرًا على الملأ أن المسيح لم يكن إلهًا بل هو كائن وسط بين الله والإنسان شبه إله، خلق منذ البدء وهو ليس من جوهر الله، ولم يكن أزلياً " [1] .

ولقد قدر للوحدانية المجردة أن تنتشر في ربوع العالم في أثناء حياة أريوس وبعد وفاته .

أما عن انتشارها في أثناء حياته، فلقد ذاع صيتها حتى وصل إلى أسماع الإمبراطور قسطنطين وقتئذ يقول حبيب سعيد : " فشجر نزاع عنيف بين الأريوسيين وبين بقية الكنيسة، وانتقل النزاع من مصر إلى غيرها من الأمصار، وبلغ هذا النزاع أسماع الإمبراطور قسطنطين "[2] .

وعن انتشار الوحدانية المجردة بعد وفاة أريوس في المجتمع النصراني بصفة عامة يقول حسني يوسف الأطير : " وقد قدر للأريوسية أن تنتشر بعد وفاة أريوس في سنة 336م أكثر مما كانت أثناء حياته، وأوشك العالم أن يكون كله أريوسيًا حسب قول الخصوم أنفسهم، لولا تدخل الأباطرة في العمل على ضرب تلك العقيدة واستئصال متبعيها "[3] .

1- تاريخ المسيحية . فجر المسيحية. حبيب سعيد صـ 147. ط دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية 1978م.

2- المرجع السابق صـ 149 .

3 - عقائد النصارى الموحدين صـ 84 .

ثانيًا : اعتقاد الأبيونية [1] في الوحدانية :

تعد فرقة الأبيونية من أنقى الفرق اعتقادًا في الوحدانية المجردة ، فلقد اعتقد المنتسبون إليها أن الله واحد وحدانية مطلقة لا يشاركه في وحدانيته أحد ، كما انه ليس هناك واجب الوجود ، أو من يتصف بالأزلية سوى الإله سبحانه وتعالى . كما اعتقد الأبونيون ببشرية المسيح وولادته من أم بشرية ، ومن ثم فليس أزليًا ، كما أنه ليس له وجود سابق على ميلاده .

إلا أن بعض الثقات من القدماء يقرر أن الأبيونيين قد " انشقوا إلى فريقين بالنسبة إلى اعتبارهم لشخص المسيح :

فالفريق الأول : اعتبره مجرد إنسان ، نبي مولود ولادة طبيعية .

والفريق الآخر : كان يؤمن بميلاده الفائق ، ولكنهم رفضوا الإيمان بأزليته ووجوده السابق على الميلاد ، ومساواته الأب"[2] .

ولقد كتب لهذه الطائفة أن تنتشر انتشارًا سريعًا بين النصارى إلى الحد الذي جعل النصارى المؤلهين لعيسى أن يحاولوا منع انتشار تعاليمها ، والوقوف لها بالمرصاد .

بل هناك من يذهب إلى أن المثلثين من النصارى قاموا بإصدار إنجيل يوحنا خصيصًا لمواجهة تعاليم هذه الطائفة ، وتثبيت القول بألوهية المسيح .

يقول أ. حسني يوسف الأطير : " ويرى كثير من المحدثين والمعاصرين أن تعاليم

---

1 ـ اختلف الباحثون في أصل هذه التسمية ، فقيل إنها نسبة إلى شخص يدعى " أبيون " ذكروا أنه ظهر بعد خراب أورشليم ، وعلم بأن المسيح لم يكن إلهًا ، بل كان إنسانًا ولد بالطبيعة من مريم ويوسف ... على أن هناك من الباحثين من يستضعف نسبتهم إلى شخص معين ، ويرى اشتقاق التسمية من الأصل العبري " أبيونيم " ، أو على نحو أدق " إيبونيم " ، وأنهم هم الأيبونيون أي الفقراء ، أو المساكين ، وأنهم ربما تسموا بها تبركًا بقول معلمهم " طوبى للمساكين بالروح ؛ لأن لهم ملكوت السماوات (عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية صـ 45 وما بعدها . حسني يوسف الأطير . عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية صـ 45 وما بعدها) .

2ـ المرجع السابق صـ 50 .

هذه الطائفة كانت من أقوى الأسباب الدافعة إلى تأليف ما يسمى بإنجيل يوحنا والرسائل معه، وإن المؤلف إنما كان يستهدف هؤلاء بالرد تثبيتًا للقول بألوهية المسيح، وقد أقر خصومها باتساع نفوذها، حيث شمل فلسطين وسوريا وأسيا الصغرى، وامتد إلى روما وإن زعموا أنها لجأت إلى القوة لفرض تعاليمها"[1].

ثالثًا : اعتقاد بولس السميساطي في الوحدانية :

يعد بولس السميساطي كذلك من أصحاب الاتجاهات النقية في الاعتقاد بالوحدانية المجردة، وذلك لما ذهب إليه من إنكار دعوى تأليه المسيح، وبالتالي الإيمان بنقيض هذه الدعوى، فهو يرى أن المسيح إنسان خلقه الله تعالى اشتهر بالاستقامة، ففاز بسمو المنزلة عند الله تعالى، وعند الناس. ولعل أفضل عرض لآراء بولس السميساطي هذا العرض الذي أورده القس " ابن كير " إذ يقول عن بولس وطائفته : " وهم الذي يؤمنون بأن الله إله واحد , جوهر واحد، أقنوم واحد , ولا يسمونه بثلاثة أسماء , ولا يؤمنون بالكلمة أنها خالصة , ولا أنها من جوهر الأب، ولا يؤمنون بروح القدس المحيى، ويقولون إن المسيح إنسان، خلق من اللاهوت مثل خلق آدم كمثل واحد منا في جوهره، وإن الابن ابتداؤه من مريم، وأنه اصطفي بالموهبة ليكون مخلصًا للجوهر الإنسي، وصحبته بعد ذلك النعمة الإلهية "[2].

فمن خلال عرض هذا القس : يتضح لنا أن اعتقاد بولس السميساطي في الوحدانية المجردة يمكن إيجازه فيما يلي :-

أولاً : أنه يؤمن بأن الله واحد غير متعدد الأقانيم أو الجواهر .

ثانيًا : أنه يرفض التثليث حتى ولو كان على اعتبار أن هذه الأقانيم أسماء الله تعالى.

ثالثًا : لا يؤمن بولس السيمساطي بوجود الكلمة على اعتبار أنها المخلصة، أو أنها من جوهر الله .

رابعًا : يري أن المسيح مخلوق من مخلوقات الله شأنه كشأن آدم وغيره من البشر،

---

1 -المصدر السابق صـ 52 ـ 53 .

2-المصدر السابق صـ 60 .

وقد ولد من مريم، وكل ما يميزه عن باقي البشر أن الله اصطفاه عن غيره .

ويؤكد صاحب عقائد النصارى الموحدين هذا المعنى، فيقول عن بولس السميساطي : " إنه كان يعتبر المسيح مجرد إنسان ؛ لأنه كان يعتقد اعتقادات وضيعة عن المسيح مخالفة لتعاليم الكنيسة ... وقد أنكر الكلمة بمعنى اللوغوس الواردة في الإنجيل الرابع من حيث إن لها كيانًا مستقلاً وأنها الإله متجسدًا في شخص يسوع المسيح المولود من مريم "[1] .

كما ظهرت فرق أخرى اعتنقت الوحدانية المجردة، إلا أنها لم تكن على درجة النقاء التي اعتقد فيها الأربوسيون، والأبيونيون، وبولس السيمساطي . وكل هذا يؤكد أن هذه العقيدة لم تكن محل تسليم لدي جميع النصارى بل رفضها المخلصون منهم مما كان سببا في معارضة الكنيسة لهم واتهامهم بالزنادقة، ودفع بعضهم حياته ثمناً لتمسكه بهذه العقيدة .

ويؤكد ذلك أن إعلان الوحدانية المجردة في النصرانية لم يقتصر على القرون الأولى التالية لميلاد المسيح، بل امتدت إلى القرن السادس عشر الميلادي .

" ففي أسبانيا يجهر المصلح الأسباني " سر فتيوس " برأيه في وحدانية الله وإنكار الثالوثية، فيتقرر إحراقه حيًا سنة 1553 م"[2] .

وبهذا يتضح أن النصارى لم تتفق كلمتهم، ولم يتوحد رأيهم عبر الأزمان تجاه الوحدانية الثالوثية، فخرج منهم من نادى بالوحدانية المطلقة لله رب العالمين معترفين ببشرية المسيح عليه السلام .

---

1 – المصدر السابق صـ 57 .

2 – الله واحد أم ثالوث .صـ140 .